الفصل السادس

المبيدات البَشرية

لا تعجب أيها القارىء الكريم حين تقرأ هذا العنوان : « المبيدات البَشرية » فقد يقفز إلى خاطرك سؤال : ما علاقة المبيدات البَشرية بموضوع هذه الدراسة التى نرصد فيها مواجهة أوروبا للإسلام والمحاور التى تشن من خلالها الحرب عليه ؟

فالواقع أن سلاح المبيدات البَشرية واحد من أسلحة أعداء الإسلام ، ومناسبة الحديث عنه عقب الحديث عن زرع إسرائيل فى جسم الأمة العربية الإسلامية مناسبة صحيحة سنرى صلتها القوية بها بعد قليل . والمقصود من المبيدات البَشرية هى تلك « المدمرات » التى عُرفت فى وسائل الإعلام العربية بـ « السموم البيضاء » التى ذاع خطرها - الآن - ذيوعاً واسعاً .

وأعداء الإسلام سلكوا فى محاربته عدة وسائل . منها ما يسمى الآن بالغزو الفكرى وسيأتى الحديث عنه تفصيلاً فى الفصول القادمة .. أما المبيدات البَشرية فنريد أن نقدِّم جملة قصيرة من الحديث عنها هنا لنفرغ لما سواها .. وهناك فرق جد واضح بين الغزو الفكرى وبين المبيدات البَشرية . ففى الغزو الفكرى يحرص أعداء الأمة على إفساد عقيدة الشباب المسلم وأخلاقه وسلوكه مع الإبقاء على سلامة جسمه وعقله . أما فى المبيدات البَشرية فيتناول الفساد صحة الشباب وعقله ، ويفسد تبعاً لذلك عقيدته وخُلُقه وسلوكه .

هذه المبيدات تمسخ متعاطيها مسخاً وإن بقى فى هيكل الإنسان ؟!

ولكنه إنسان مريض تسرى فى جسمه وعقله آفات تهدمه هدماً وتُفقده رشده وتوازنه . ويصبح بين أمرين أحلاهما - إن كان فيهما أحلى - مُرٌّ شديد المرارة ..

فإما أن يتعاطى ما تعوَّد تعاطيه ، وهذا يكلفه ما لا طاقة له به من المال . وإما أن لا يمكنه تعاطى ما اعتاد . وفى كلتا الحالتين فهو يفقد رشده ووعيه ، أو يفقد توازنه . وتحت تأثير هذه المبيدات لا يتورَّع المدمن من فعل أى شئ ، ولو كان زناً بالمحارم ، وقتلاً لنفس حرَّم اللّه قتلها ، أو سرقة لمال أو نهباً واغتصاباً . ويصاب بمرض الهلوسة ويسير يتطوَح إن سار . ويخرف عقله ، ويهذى لسانه ، وتنطلق « الريالة » من فمه خيوطاً وسَيْلاً . منظره مخيف ، بل ممسوخ مسخاً قبيحاً . إنه ميت وإن كان فيه نَفَسٌ يتردد ، وقلب ينبض ، وأذن تسمع ، وأعين تنظر ، وأيد تبطش ، وأرجل تخطو . كائن محكوم عليه بالفشل والهلاك . فماذا بقى فيه من إنسانية وحياة ؟

لا شئ .. كما قال زهير ابن سلمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبـــق إلا صورة اللحم والدم

هذه المدمرات والمبيدات البَشرية تنتشر - الآن - بين الشباب المسلم ، وبخاصة طلاَّب الجامعات . فما المقصود منها يا تُرى ؟ هل المقصود الكسب المالى لتجار المخدرات فى الداخل . أما أن يكون الكسب المالى لليد الأولى المحرِّكة لهذه الآفة هو المقصود فلا ثم لا . وحتى لو كان داخلاً فى حساباتهم فإنه ليس الباعث على تحريك هذه الآفات . وإنما الباعث هو القضاء على الأجيال الجديدة للأمة . وفى تقديرهم أنه سيأتى يوم لن يكون فى البلاد الإسلامية - وفى مقدمتها مصر - شباب يحملون السلاح لدفع أخطار تأتى من الخارج ، ولا جهاز إدارى فى الداخل يحمل أمانه حراسة الدين وسياسة الدنيا ، ولا ربة بيت ترعى النشء حق الرعاية . ولا عائل أسرة يقوم بشأنها ، ولا علماء يحملون

أمانة الدعوة والتبليغ ، ولا قدوة حسنة يترسم خطاها الشباب ، ولا قادة يرعون مصالح الأمة فى الداخل ، ويزودون عنها فى المحافل الدولية .

ويوم يأتى ذلك اليوم فلا عقبات تقف فى طريق أعداء الأمة إذا أرادوا أن يجوسوا خلال الديار ، يستعبدوا أهلها وترفرف أعلامهم على ربوعها : « غنيمة باردة هنيئاً لغانميها ؟! ومائدة شهية مريئاً لآكليها » .. ؟!

ونسأل الآن سؤالاً : لماذا استفحل داء المبيدات البَشرية فى البلاد الإسلامية وفى مقدمتها مصر ، فى العشر السنوات الأخيرة ؟ من قبل كان « الأفيون » هو البضاعة السائدة فى سوق التلف والإتلاف . والآن يكاد يتوارى المدمر التقليدى - الأفيون - بعد أن نافسه فى أسواق الشيطان بدائل أخرى أفتك وأقتل ؟

ونعيد السؤال مرة أخرى مع شئ من التحديد : لماذا استفحل داء المبيدات البَشرية فى مصر الإسلامية وأم العروبة خلال السنوات الأخيرة ؟

والإجابة إذا أردنا الإنصاف ، وتسلحنا بالشجاعة والصراحة معاً . السبب هو الصلح مع إسرائيل . هو سبب الوباء والبلاء والمحنة . فقبل الصلح مع إسرائيل ، ومع يقظة سلاح الحدود المصرى كان الخطر يسيراً .

أما الآن .. وقد تصالحنا مع إسرائيل ، وطبَّعنا علاقاتنا معها . وفتحنا لهم منافذ الدخول إلى مصر : بَرّاً ، وبحراً ، وجواً . فقد أمن القوم على أنفسهم وعلى بضاعتهم . ومنهم ديبلوماسيون يدخلون آمنين ، ولا ندرى ماذا يحملون فى حقائبهم الديبلوماسية المصونة المقدسة ؟!

إسرائيل لا ترعى فى المسلمين عهداً ولا ذمة ، هكذا يُعلّمنا القرآن الذى تركناه وراءنا ظهرياً فى المعاملات الدولية . وفى غير المعاملات الدولية .

قد تقول : إن مشكلة المخدرات منتشرة فى دول الغرب ، ومنها أمريكا وهى دعامة إسرائيل الآن فى كل صغيرة وكبيرة ، فهل إسرائيل هى التى تقوم بزرع الألغام فى أمريكا كما تقوم بزرعها فى مصر ؟

والجواب : نعم . ولإسرائيل هدف - هنا - وهدف - هناك - أما هدفها هنا فهو التمكن من قيام دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات ، وأما هدفها - هناك - فهو قيام الحكومة الكونية التى تسود فيها إسرائيل على جميع شعوب العالَم : مسلمين ، ونصارى ، وملحدين . وهى تعمل الآن على جميع الجبهات لتثأر لنفسها من جميع « الأمميين » وهم الشعوب من غير اليهود . ولا ننس أن دول أوروبا كانت تضطهد اليهود الموجودين بها اضطهاداً شديد المرارة قبل أن تقيم أوروبا دولة إسرائيل على أرض الإسلام « فلسطين » ، وإسرائيل لا ترهب غير القوة . وحين تلمس ضعفاً فى دولة ما - وإن كانت أمريكا - فسوف تنقض عليها وتبتلعها ، ولن تخشى لومة لائم .

وكأن الشاعر الذى قال :

شجاع إذا ما أمكنتنى فرصة وإن لم تكن لى فرصة فجبان

كان يتحدث بلسان اليهود .

إن حرب « المبيدات البَشرية » الموجَّهة ضد الشباب المسلم الآن جديرة بأن يقف أمامها المسلمون وقفة صادقة وحاسمة ، لا تعتمد على برامج التوعية بين الشباب فحسب . بل عليها أن تُحكم الرقابة على منافذها الدولية ، وموانيها البحرية ، وحدودها البَرِّية ، ولو أدَّى ذلك إلى توزيع فِرق كاملة من الجيش المسلح . أما الاعتماد على التوعية مع عدم إحكام الرقابة على الوافدين فغير كاف . فعلينا أن نجفف منابع الفساد أولاً مهما كلَّفنا الأمر ، وإلا وقع علينا قول الشاعر الحكيم :

لا تقطعن ذَنَبَ الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فأتْبِع رأسها الذَنَبا

* * *